﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾ [الفرقان: 22]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

كـل نـفس بما عملت مَجْزيّة

لمّا قالوا: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا﴾ تعجيزًا واستكبارًا؛ أخبر اللّهُ تعالى أنّهم ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ يومَ القيامة، ويشاهدون ما اقترحوه من نزول الملائكة بعد استعظامِه، يكون ذلك في غايةِ ما يكونُ منَ الشَّناعة والخسار ولقاءِ المكروه[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بُشْرَىٰ﴾: (بشر) أَصْلٌ واحِدٌ يدلُّ على ظُهورِ الشَّيْءِ مَعَ حُسْنٍ وجَمالٍ، فالبَشَرَةُ ظاهِرُ جِلْدِ الإنسانِ، وسُمّيَ البَشَرُ بَشَرًا لِظُهورِهِم، وأصلُ البِشْرِ - بالكسر: الطَّلاقةُ والبشاشة وبسطُ الوجه: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصّافات: 101][2]، والبُشْرى الخبرُ الَّذي يُغيِّر البَشَرة من حُزْنٍ أو سُرورٍ، ثمَّ خُصَّ في عُرْفِ اللُّغة بالسُّرور، ولا تكون إلّا بالخَبَر الأوَّل[3]، فيُقالُ: أَبْشَرْتُ الرَّجُلَ وبَشَّرْتُهُ، أيْ: أَخْبَرْتَهُ بأَمرٍ سارٍّ[4]، وسُمّيَتْ بذلك مِنَ البِشْرِ وهو السُّرورُ؛ لأنَّها تُظْهِرُ طَلاقَةَ وجْهِ الإنْسانِ وفَرَحَه، والمقصودُ بالبُشرى الآية: خَبَرٌ بحصولِ ما فيه نفعٌ ومَسَرَّةٌ للمُخْبَرِ به، وانْتِفاؤها مستعملٌ في إثباتِ ضِدِّه، وهو الحُزْنُ[5].

2) ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾: (جرم) أَصْلُ الكَلِمَةِ مِن الجَرْمِ، وهو القَطْعُ[6]،

(1) ابن عطيّة، المحرر الوجيز: 4/ 250، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 369، وأبو السّعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 211.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (بشر).
(3) النّوويّ، تحرير ألفاظ التّنبيه، ص: 267، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 184.
(4) ابن الأنباريّ، الزّاهر: 2/ 128، والعوتبيّ، الإبانة في اللّغة العربيّة: 2/ 280.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 19.
(6) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (جرم).

وقيل أَصْلُه: الكَسْبُ، وفُلانٌ جَريمَةُ أَهْلِه، أي: كاسِبُهُم، ومنه سُمّيَ الذَّنْبُ جُرْمًا؛ لأنَّهُ كَسْبٌ لِصاحِبِه[1]، والإجْرامُ: ارْتِكابُ الجُرْم، وهوَ الإثْمُ العَظيمُ[2]، يُقال: أَجْرَمَ الرَّجُلُ، إذا ارْتَكَبَ ذَنْبًا أو جَنَى جِنايَةً[3]، والجُرْمُ والجَريمَةُ: الذَّنْبُ والإثْمُ، والإجرامُ أيضًا: إلصاقُ الجَريمَةِ بالغَيْرِ، ويأْتي بِمعنى الاعْتداءِ والظُّلْم، فيُقال: أَجْرَمَ في حَقِّ أَخيه، أيْ: ظَلَمَهُ واعْتَدَى عليه، والمُجْرِمُ في اصْطِلاحِ القُرْآنِ: هوَ الكافِرُ، كَقَوْلِه تَعالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المطففين: 29]، وحقيقةُ الإجرام في الآية: الكُفر، والمُراد بالمجرمين: كُفّارُ قُريشٍ.

3) ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: (حجر) أَصْلٌ واحدٌ مُطَّرِدٌ، وهو المَنْعُ والإحاطَةُ على الشَّيءِ، فالحَجْرُ: حَجْرُ الإنسانِ، يُقالُ: حَجَرَ الحاكِمُ على السَّفيهِ حَجْرًا؛ وذلكَ مَنْعُهُ إيّاهُ مِنَ التَّصَرُّفِ في مالِه؛ والعَقْلُ يُسَمَّى حِجْرًا؛ لأَنَّهُ يَمنَعُ مِنْ إتْيانِ ما لا يَنْبَغي[4]، و(حِجْرٌ) كَلِمَةٌ يَقولونَها عِنْدَ رُؤْيَةِ ما يُخافُ مِنْ إصابَتِهِ بِمَنْزِلَةِ الاسْتِعاذَةِ، قالَ الخَليلُ وأَبو عُبَيْدَةَ: كانَ الرَّجُلُ إذا رَأَى الرَّجُلَ الَّذي يَخافُ مِنْهُ أَنْ يَقْتُلَهُ في الأَشْهُرِ الحُرُمِ يقولُ له: (حِجْرًا محجورًا)، أَيْ: حرامٌ قَتلي، وهي عوذَةٌ، و﴿مَّحْجُورًا﴾ وصفٌ لِـ ﴿حِجْرًا﴾ مُشتقٌّ من مادَّته؛ للدّلالةِ على تَمَكُّنِ المعنى المُشتقِّ منه، كما قالوا: لَيْلٌ أَلْيَلُ، وذَيْلٌ ذائلٌ، وشِعْرٌ شاعِرٌ[5]، والمُراد بقوله: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾: كلمةُ استعاذة معروفةٍ عند العرب في الجاهلية، أي: حَرامًا مُحَرَّمًا ومحجورًا.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

لا بُشرى يومَ القيامة للكافرين

يقول اللّه تعالى: يومَ يرى الكُفّارُ مَلائكةَ الموتِ حينَ تَنزِلُ لقَبضِ

(1) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والجوهريّ، الصّحاح: (جرم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 30/ 210.
(3) ابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (جرم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (حجر).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 19.

أرواحِهم، ويَرَون ملائكةَ العذابِ في البَرزخِ ويومَ القيامةِ؛ فلا تُبَشِّرُ الملائكةُ المُجرِمين يومَ يَرَونَها بالخَيرِ، بل بالخَيبةِ والخُسرانِ، وتقول الملائكةُ للمجرمين إقناطًا لهم: جعلَ اللّهُ تبشيرَكم بالغفران، والرّحمة، أو بالجنَّة، حرامًا مُحَرّمًا، وقال بعضُهم: إنَّ المُجرمين يطلبون البُشرى منَ الملائكة، فيقولون لهم ذلك[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

فُصِل قولُه تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ عن سابقه؛ لأنّه استئنافٌ بيانيٌّ ثانٍ، وهو جوابٌ ووعيدٌ عمّا قالوا فيما مرّ، فبعدَ أن عَجَّبَ الحَقُّ سبحانه تعالى من مقالة هؤلاء الكافرين، وبيّنَ ظُلمَهم وكُفرَهم؛ عاجلَهم بوعيد قاسٍ، يُنْزِلُ عليهم به ما طلبوه من رؤية الملائكة، ولكنّها رؤيةُ سوءٍ وفَزَعٍ، فسَيُشاهِدونَ زبانيةَ العذابِ يسوقونهم إلى النّار، ويُنزلون بهم أشَدَّ العذاب[2].

تلبيةُ رغبةٍ ظالمةٍ برؤيةٍ تُفزِعُ القلوبَ وتُذِلُّ النّفوسَ

فائدةُ التّعبير بـ ﴿يَوْمَ﴾ نكرةً مضافةً:

أورِد لفظُ ﴿يَوْمَ﴾ نكرةً مضافةً في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾؛ لإفادة التّهويل والتّعظيم[3]، لِما يراه الكافرُ منَ الأحداث الجِسام فيه، كقبض الملائكة أرواحَهم، أو سَوقِهم إلى جهنّم، وتدلُّ النّكرةُ المضافة على أنّ هذا اليوم غيرُ معلومٍ للكافرين، ممّا يُضاعف خوفَهم ورُعبَهم، فكأنّ الحقّ سبحانه يوعِد الكافرين بأن ينتظروا يومًا عظيمًا لا مثيلَ له، يوم يلقَون فيه ما لا يتوقّعونه.

يومٌ عظيمٌ مجهولٌ ينتظره الكافرون، قبضًا لأرواحهم، أو سَوقًا إلى مصيرهم

دلالةُ التّعبير عنِ الرّؤية بقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بقوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ﴾؛ ليَدُلّ على أنّ هذه الرّؤيةَ

رؤيةٌ مفاجئةٌ غيرُ معهودة تُضاعِف عذابَ الكافرين في الآخرة

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 427، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 20، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 101.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 6، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 6/ 19.

(3) محمد الهلاليّ، تفسير القرآن الثّريّ: 2/ 19.

للملائكة ستكون على وجهٍ غيرِ معهود[1]، ممّا يُضاعِفُ من غموض المشهد، ويؤكّد لحظةَ الرّؤية وحقيقتَها، ونفيَ الإجابة على اقتراح الكافرين؛ ممّا يولّد لديهم شعورًا بالخوف والرّهبة، فيُضاعِفُ من عذابهم في الآخرة، ومعنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾؛ أنّ الملائكة لا تظهرُ إلّا عند الموت، وهو المعبَّرُ عنه بذلك اليوم حُكمًا إلهيًّا يُميّز بينَ المؤمن والكافر، فيبُشرى الجنَّة يُلاقَى المؤمنُ، بينما يقابَلُ المشركُ والكافر بضرباتٍ بمقامعَ من حديد، تُنْذِرهم بعذاب أليم[2].

بلاغةُ النّشرِ في قوله: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾:

في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ نشرٌ لقوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[3]؛ فإنّ الكفّار الذين طالما طلبوا نزولَ الملائكةِ دليلًا لهم، سيواجهونَهم يومَ القيامة، حيثُ لا بشرى لهم، بل هو يومُ عذابٍ وفَزَع.

ردٌّ جازم على تشكيك الكفّار، ونشرٌ لطلبهم نزولَ الملائكة

الغرضُ من تقديم الظّرف ﴿يَوْمَ﴾:

تقديمُ الظّرف في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾؛ للاهتمام به، ففي هذا التّقديم إغراءٌ خفيٌّ، وترقّبٌ دقيقٌ لتحديد موعد الإجابة؛ لِتَعْقِبَه خيبةُ أملٍ عميقةٌ، وحُزنٌ مُؤلمٌ حينَ سماع الوعيد المُحقّق، فكأنّ الحقَّ ﷻ يقول لهم: لا تتمنّوا ما لا تُطيقون، ففيه هلاكُكُم وفناؤكُم[4].

الاهتمامُ به للإغراء والترقّبُ؛ لِتَعْقِبَه خيبةُ أملٍ عميقةٌ، وحُزنٌ مُؤلمٌ

معنى (أل) في ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾:

الألف واللّام في قوله تعالى: ﴿ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ عهديّةٌ؛ فإنّ المرادَ بهم ملائكةُ العذاب[5] الموكّلون، وآية ذلك أنّ الكافرين لا يُبشَّرون يومَ

ملائكةُ العذابِ مع الكافرين بمنزلة الحُرّاس الذين سيقودونهم إلى النّار

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 211.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 20.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 6.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 19.
(5) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 20/ 15.

القيامة، بل يوبَّخون ويُعذّبون، فالملائكةُ الذين يراهمُ الكافرون يومَ القيامة بمنزلة الحُرّاس الذين سيقودونهم إلى النّار.

نُكْتَةُ فصلِ قوله: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾:

استئنافٌ بيانيٌّ يُظهر مصيرَ المجرمين بعد رؤية الملائكة بانتفاء البُشرى عنهم

فُصِل قولُه تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ عمّا قبله؛ لأنّه استئنافٌ بيانيٌّ[1]؛ فإنّه لمّا وصف رؤيتَهم للملائكة ذلك اليومَ، نشأ سؤالٌ في ذِهن السّامع عن حالهم ذلك اليوم، فأجاب الحقّ ﷻ على هذا السّؤال بانتفاء البُشرى عنهم، ويجوز أن يكون قولُه: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ معمولاً لقولٍ مُضْمَر، تقديره: (يومَ يرون الملائكةَ قائلين لهم: لا بُشرى لكم)، على أنّ القول حالٌ منَ الملائكة[2]، وكأنّ الملائكة حُرّاسُ الجنّةِ في شعورهم بالازدراء والنّفور ينادونَهم بانتفاء البُشرى عنكم أيّها المجرمون! فلقد حان وقتُ الحساب والعذاب.

معنى ﴿لَا﴾ ودلالتُها في: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾:

إذا أزِفَ يومُ الحساب حُرِمَ المجرمون من كلّ بِشارة

﴿لَا﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ نافيةٌ للجنس، و﴿بُشْرَىٰ﴾ اسمُها مبنيٌّ بناءَ (لا رجلَ)[3]، وهي تدلُّ على حِرمانهم جنسَ البُشرى، وفي ذلك تيئيسٌ لهم، وقطعٌ لكلّ آمالِهم يومَ القيامة.

الغرضُ من تنكير ﴿بُشْرَىٰ﴾:

حرمانٌ مطلقٌ للمجرمين من أيِّ بشارة في الدّارَين، حاضرًا ومستقبلًا

أوردَ نفيُ بشرى المُجرمين نكرةً في قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾، والنّكرةُ في سياق النّفي تَعُمّ؛ وفي ذلك توكيدٌ لحِرمان المُجرمين من أيّ بشارة في أيّ وقتٍ، جملةً وتفصيلًا، فلا بشرى لهم لا في الحاضر ولا في المستقبل، فأسلوبُ النّفي ذاكَ يقتضي نفيَ جميعِ أنواع البُشرى في الأوقات جميعًا[4].

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 6.
(2) طنطاويّ، التّفسير الوسيط: 10/ 187.
(3) الهمذانيّ، الكتاب الفريد: 5/ 16.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 450، وابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 14/ 513.

سِرُّ استعمالِ كلمة البُشرى في غير سياقها:

تهكّمٌ وسخريةٌ من عُتوّ الكافرين واستكبارِهم، وبشارةُ عذابٍ في يوم عظيم

سياقُ الآيات جارٍ في صفات الكافرين من استكبارهم وعُتوّهم، ورؤيتِهمُ الملائكةَ الموكّلين بعذابهم؛ فهو سياقُ ذنوب وعذاب، فلمّا أورد كلمةَ البُشرى عُلِم أنّه أراد من ذلك التّهكّمَ والازدراءَ والسّخريّة والتّوبيخ منهم؛ لما تُفيده تلك الكلمة عادةً من دلائل الخير والمَسرّة[1]، فكأنّ الحقّ ﷻ يقول لهم: بَشَّرتُم أنفسَكم بالخير والمَسَرّة في الدّنيا، فها هي ذي بُشْراكم في الآخرة عذابٌ ونار.

غرضُ النّفي بـ ﴿لَا﴾ النّافيةِ للجنس في الآية الكريمة:

انتفاءُ البُشرى مستعملٌ في إثبات ضِدّه وهو الحُزن

في نفي البُشرى في قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ إرادةُ إثباتِ ضِدّها؛ فقد أورد الحقُّ ﷻ النّفيَ صريحًا ليُثبت عليهم ضِدّه، وهو الحُزن المُقيم، والأسى المستديمُ[2]، كما أنّ قولَه تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ﴾ نفيٌ للجنس، وإنّما عدلَ إلى هذا الأسلوب للوصول إلى المبالغة في نفي البُشرى[3] وتوكيدِ هذا النّفي عن المجرمين بشكل قاطع؛ فلا بارقةَ أملٍ في أنّ ما نزل بهم قد يزول حالًا أو مستقبلًا، ممّا يُضاعف من شعورهم باليأس والقنوط، وإثارةِ مشاعرِ الخوفِ والرّهبة لديهم؛ فإنّ النّحويّين يرون أنّ (لا) النّافيةَ للجنس فيها توكيدُ النّفي؛ لتضمّنِها معنى (مِن) الاستغراقيّة[4].

سِرُّ إعادةِ الظّرف في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

تأكيدُ رؤيةِ المُجرمين لملائكة العذاب في ذلك اليوم على وجه التّحقيق

بعد أن ذَكَر ظرفَ رؤيتِهم الملائكةَ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، أعاد ذِكْر الظّرف في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾، والنّكْتَةُ من إعادته وتكريره هي التّوكيد[5]؛ فإنّ رؤيتهم للملائكة ستكون في ذلك اليوم على وجه التّحقيق، فذلك اليوم موعدُ حسابهم وعذابهم.

---

(1) محمد الهلالي، تفسير القرآن النّريّ: 2/ 19.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 5/ 16.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 211، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 6.
(4) السّامرائيّ، معاني النّحو: 1/ 375.
(5) النّحّاس، إعراب القرآن: 3/ 109.

دلالةُ تنوين العِوَض في ﴿يَوْمَئِذٍ﴾:

حصرٌ لنفي البشارة بيوم رؤيةِ الملائكة

يَرِد التّنوين في كلام العرب عوضًا من حرف أو لفظ أو جملة، وقد سُمّي عوضًا لأنّه يُعَوَّض من جملة بإضافة الظّرف إليها، وهو واردٌ على سبيل الاختصار[1]، والتّنوينُ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تنوينُ عوضٍ يدلُّ عليه قولُه: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾، والمعنى: يومَ إذ يرى الكفّارُ الملائكةَ فلا بُشرى لهم[2].

الغَرضُ من تقديم الظّرف:

قطعٌ بنفي البشرى عنِ المجرمين إلى الأبد، من غير اقتصاره على زمن معيَّن

قُدِّمَ الظّرفُ المُكرّر ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ على الجارّ والمجرور ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ تهويلًا، مع ما فيه منَ الإيذان بالاهتمام، والتّأكيدِ على أنّ نفي البُشرى عنِ المُجرمين ليس مقصورًا على ذلك اليوم فقط؛ كي لا يُخِلَّ بتفظيع حالِهم[3]، بل هو نفيٌ عامٌّ يشمل كلَّ الأوقات، وأنّ المُجرمين سيعيشون في عذاب أبديٍّ في الآخرة.

معنى اللّام ودلالتُها في ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾:

تبيينٌ لنفي البُشرى، وحصرٌ للعذاب في ذلك اليوم بالمجرمين فقط

اللّام في قوله تعالى: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ دالّةٌ على التّبيين[4]، وهو أحد معانيها في لسان العرب؛ فإنّ صفة الإجرام تبيينٌ لَمن مُنِعَ البُشرى، فاللّام يُراد بها التّبيينُ، لما في نفي البُشرى مِنَ الإبهام[5]، فبيّن أنّه يكون في ذلك اليوم خاصًّا بالمجرمين فقط، لا يشاركُهم في ذلك غيرُهم مِنَ العصاة، وهي دالّةٌ على الاستغراق أيضًا؛ فإنّ الإجرام وصفٌ يتناول عمومَهم[6]، وفيه دلالةٌ على أنّ النّفي يشمل جميعَ المجرمين دون استثناء؛ لأنّ الإجرام صفةٌ تمنع من تَلَقّي البشارةِ

(1) ابن بابشاذ، شرح المقدمة المحسبة: 1/ 188.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 20/ 15.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 211.
(4) ابن هشام، مغني اللّبيب، ص: 291.
(5) زاده، حاشيته على تفسير البيضاوي: 6/ 281.
(6) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 273، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 20/ 15.

يوم القيامة، ويشملُ معهم العصاةَ الذين يعتقدون لقاءَ الحقّ ﷻ[1]، ويجوز أن يكون نفيُ البُشرى غيرَ لازم لعامّة المجرمين، بل هو خاصّ ببعضهم، وإن وُجِد بعضُ المجرمين ممّن لا ينالون البُشرى، فذلك تسجيلٌ على جُرمهم، وإشعارٌ بما هو المانعُ لهم من بشارة الجنَّة، ممّا يُضاعِف من عذابهم في الآخرة؛ ولذلك وضع الاسمَ الظّاهر موضعَ ضميرِهم[2]، ويجوز أن تكون (اللّام) في قوله تعالى: ﴿لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ للعهديّة؛ فيكون معنى (المجرمين) يُشير تحديدًا إلى الكفّار، وآيةُ ذلك قولُ الحَقّ ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: 72][3]، ففي الآية تصريحٌ بأنّ الحقّ سبحانه حَرَّم على هؤلاء الجنّة؛ لارتباطهم بالشّرك بالله، وهو من أعظم الجرائم.

بلاغةُ وضعِ المُظْهَر موضعَ المُضْمَر:

ذِكْرُ صفةِ الإجرام في قوله تعالى: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ إظهارٌ في مقام الإضمار، فلم يكفِ التّصريحُ عليهم بالكفر والظّلم واليأس من لقاء الله، فوصفَهم بالإجرام؛ ليُكَمّلَ دسيستَهم به، ويثبتَ عليهم سِمَةَ الخُسران في الدّنيا والآخرة[4]، وهذا أبلغُ ممّا لو قيل: لا بُشْرى يومَئِذٍ لهم، ولوَصْفِهم بالإجرام دلالةٌ أُخرى؛ فإنّه السّببُ الرّئيسُ لحِرْمانِهم من حصول البُشرى الذي عُبِّر عنه بأتمّ وجه، فهي صفةٌ تُمَيّزهم من سائر العصاة، وهو ليس مَجَرّدَ ذنبٍ عابر، بل هو مانع حقيقيٌّ يحول بينَهم وبين نَيل الرّحمة والمغفرة، ولا إجرامَ أعظمُ من إجرام الذين لا يرجون لقاء الحقّ ﷻ، ويقولون ما يقولون، فهم أولى بهذا الوصف[5].

لـم يُـغْـنِـهـم كُفْرُهم وظُلْمُهم ويَـأْسُـهـم عن هـذا الـوصـفِ المهين

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 67.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 210.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 450.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 19.
(5) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 7.

بلاغةُ التّهكّم والتّعريض بهم على طريقة الغيْبة:

في هذه الجملة: ﴿لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ تلميح رقيقٌ وهُزءٌ لطيف بهؤلاء الكافرين، فابتداؤُه يُطمعُهم في الإجابة، ونهايتُه تُؤيِّسُهم بالوعيد، فكأنّ الحقّ ﷻ يقول لهم: ستشاهدون ما تطلبون، ولكنّها رؤيةٌ فيها هلاكُكُم، وهو كلامٌ على طريق الغيبة، لأنّه حكايةٌ عن تَوَرُّكهم، وقصدٌ إلى إبلاغهم حين يسمعونه[1].

إطماعٌ للكافرين في البداية، ووعيدٌ بالعذاب في النّهاية، مع التّهكّم والتّعريض بهم

معنى الواو ودلالتُها في قوله: ﴿وَيَقُولُونَ﴾، ونسبةُ هذا القول ودلالتُه:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ﴾ تحتمل العطفَ على ﴿يَرَوْنَ﴾[2]، وفيه إشارةٌ إلى أنَّ هذا القولَ هو للكافرين عند رؤية الملائكة؛ أو حين يرون ما يكرهونه من العذاب والأهوال يوم القيامة[3]، معبّرين عن يأسهم وقنوطهم من رحمة الله، أو أنّهم يحلّقون في خيالهم سورًا عظيمًا بينهم وبين الملائكة، يحسبونه يحجبُهم عن عذاب اللهِ، ويظنُّون أنَّه يُبرئهم من جُرمهم، فكأنَّهم يقولون: لا صلة لنا بما أوجبتْه أيدينا، كما يقول الرّجل للرّجل: أتفعل كذا وكذا؟ فيقول: حِجرًا، أي: سترًا وبراءةً من هذا[4]، وكان العربُ إذا كرهوا شيئًا قالوا: حجرًا؛ تعوّذًا منه[5]، وتحتمل الواوُ الحاليةَ منَ الملائكة[6]، وفيه إشارةٌ إلى أنّ هذا القولَ هو للملائكة أنفسِهم، فإنّها يومَئذٍ تقول للمجرمين حجرًا محجورًا[7]، مُنكرين عليهم أيَّ أملٍ في الجنّة، ومُؤكّدين عذابَهم الأليم، وحرمانَهم من أيّ بشارة، فالعفوُ الإلهيّ، والخلاصُ من النّار، وشفاعةُ الرّسول الكريم ﷺ، كلُّها بشاراتٌ عظيمةٌ لا تنالهم، فلا أملَ لهم في رحمة، ولا فكاكَ[8].

مشهدٌ من مشاهد يومِ القيامة، يملأه اليأسُ والقنوطُ من جهة، والعدالةُ الإلَهيّة من جهة أخرى

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 19.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 213.
(3) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 451.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 370.
(5) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 206.
(6) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 213.
(7) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 206.
(8) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 450.

دلالةُ التّعبير بالمضارع في فعل القول:

أورِد فعلُ القول ﴿وَيَقُولُونَ﴾ مضارعًا؛ إشارةً إلى دوام تجديدِهم لهذا القول بعد مفاجأتهم به حالَ رؤيتهم لهم، أي: للملائكة؛ لعظيم روعتِهم منهم[1].

استمرارُ تفوُّهِهم بقولهم بعد أن فوجئوا بعَظَمة ما رأَوه

الموقعُ الإعرابيُّ لقوله: ﴿حِجْرًا﴾ و﴿مَّحْجُورًا﴾، ودلالتُه:

وقع قولُه تعالى: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ موقعَ النّصب على أنّه مفعولٌ موصوفٌ، فكأنّ المعنى: أنّهم يسألون اللّهَ تعالى أن يمنعَ عنهم هذا المكروه منعًا، ويحجرَه حَجْرًا كما تُحْجَر الأحجار، وهو يُقال عند لقاءِ عدوّ مُخيف، أو نازلةٍ هائلة، كنوع منَ الاستعاذة باللّه تعالى[2]، وحَجَرَه بمعنى: منعَهُ[3]، وقدِ استُعمِل لفظ الحِجر نكرةً في قوله: ﴿حِجْرًا﴾؛ للدّلالة على عَظَمة هذا الحِجر.

صرخةُ استغاثةٍ لطلب الحماية منَ المكروه عدوًّا كان أو نازلةً

دلالةُ التّأكيد بالوصف ﴿مَّحْجُورًا﴾:

وُصِفَ الحِجر بالمحجور في قوله: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾، للدّلالة على توكيد معنى الحِجر[4]، وفيه تجسيد للتّناقض الصّارخ في مشاعر الكافرين، فهم من جهةٍ يطلبون نزول الملائكة، ويُلحّون في ذلك، ومن جهة أخرى يرتعبون من لقائهم عند الموت، أو يومَ القيامة، وتدلّ البنيةُ الصّرفيّة لاسم المفعول في الآية ﴿مَّحْجُورًا﴾ على وصفٍ للحِجر؛ فقدِ اشتُقّ من المادّة نفسِها؛ للدّلالة على تمكّن المعنى المشتقّ أيّما تمكّنٍ، مثلما قالوا: ليلٌ أَلْيَلُ؛ لتكرر اللّيل وتواليه، وذيلٌ ذائل؛ لتخلّفه وهوانه، وشِعْرٌ شاعر؛ لتمكّنه وإحكامه[5]، فهي كلمة بليغةٌ تُجسّد معنى المنع الحتميّ، كأنّها تُشير إلى مكان محصّن لا يمكن الوصول إليه.

تأكيدُ هوانِ الكافرين وتناقضِ مشاعرهم في طلب الملائكة والهلعِ من لقائهم

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 370.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 212، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 7.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 19.
(4) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 274.
(5) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 69، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 7/ 19.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الحجرُ والمَنعُ والحبسُ:

المـنـعُ عـامٌّ، والـحـبـس خاصٌّ، والحِجرُ للمجرمين يوم القيامة منعٌ وحِرمانٌ من كلّ خير

الحجر: منعٌ عامٌّ، وهو الحيلولةُ بينَ المريد والشّيء المُراد[1]، وقد عُبِّر عنِ هذا المَنع بالحجر في قوله تعالى: ﴿حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾، وهو مشتقّ منَ الحِجارة، وقيل للعقل حِجر؛ لأنّه يمنع الإنسانَ ممّا تريد نفسُه[2]، ويُستعمَل الحَجْر عادة مع الأشخاص الذين فقدوا أهليّة التّصرّف.

وأمّا الحبسُ: فهو منعٌ عن التّصرّف، كقولهم: منعَ الرّجلَ عن حاجته، إذا حبسَه منَ التّصرّف بها[3]، ويستعمل عادةً مع من يرتكب جُرمًا أو ما شابه ذلك.

ولمّا كان معنى لفظ الحِجر في الآية هو المنعُ والحرمانُ، وأنّ الملائكة تقول هذه الكلمة للمجرمين يوم القيامة بمنعهم وحِرمانهم من أيّة بشارة، أو هو قول الكافرين عن أنفسهم، كان التّعبير بالحِجر أنسبَ منَ المنع لعمومه، ومنَ الحبس لخصوصه.

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (منع).
(2) الرّاغب، المفردات: (حجر).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 114.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»